

## الفصل الأول

تبلور الدين اليهودى

١ - المنفى وأثره الدينى :

نتج عن نفى كبار وعظماء اليهود فى شتى حقول الحياة من يهودا الى بابل نتائج مهمة جدا ، وأثر ذلك فى الدين العبرى ، الذى كان يدين به الأولون تأثيرا شديدا .

عندما سقطت أورشليم فى يد جيوش بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد ، كانت هزيمة مملكة يهودا تامة . فقد أحرق الهيكل وتفتتت المملكة وتفرق شمل سكانها الذين نجوا من القتل . فقسم خرج الى البلاد المجاورة واندمج فى شعوبها ( ١ ) . أولئك هم الذين لم يكونوا عنصريين من قبل ، ولم يكونوا يرضون عن سلوك اخوانهم الانفرادى خيال الشعوب المجاورة ، بل كانوا فى أورشليم يطاوعون حكامها كرها ، ويتربصون الفرصة للخلاص .

وهرب قسم آخر فى اتجاه مصر . ولعلمهم أرغموا على الرحيل فى اتجاه جنوبى ، خوفا من ملاقات البابليين فى الشمال - وهو تفسير ضعيف بالنظر الى تفوق البابليين العسكرى ، واحاطتهم بمدينة أورشليم من جميع نواحيها ، وتمكنهم من اللحاق بالنازحين المهزومين مهما خفت خطاهم - أو ميلا الى صداقة مصر رغم عداوة مملكتهم الرسمية لها . وان فضلوا اللجوء الى مصر فلا بد أيضا أن سياستهم لم تكن عنصرية متعصبة كسياسة حكومة مملكتهم المهزومة . لقد استقر هؤلاء اللاجئون فى تخوم مصر ، كما نعلم من أرميا ( ٤٣ : ٧ ) أنه نفسه كان بين الذين نزلوا

( ١ ) أرميا ٤٠ : ١١ ، التثنية ٢٨ : ٩٤ .

فى طفانحس ( « دافنة » فىما بعد ) وأن آخرىن نزلوا فى مدن أخرى  
فى مصر الشمالية ( ٢ ) .

والقسم الذى يهمنى من هؤلاء النازحىن هو قسم الذىن سبوا وسبقوا  
امرى الى بابل وأنزلوا فى تل أبىب . ولا شك أنهم كانوا خيرة مواطنى  
المملكة . اذ لا يعقل أن يقوم البابلىون المنتصرون بسبى السوقة والعوام  
بل الخاصة من الزعماء السياسىين ورجالات الدين والاقتصاد وقادة  
الجىش ، اذن ، فالمنفىون من مواطنى يهودا كانوا القادة ، أى حملة  
التراث والفكر وأكثر الناس تعلقا بفكر صهىون وأشدهم تعصبا له ،  
سواء من الوجهة الدينية أو السياسية أو الاجتماعية . وكذلك كان  
المنفىون أشد اليهود حرصا على الكىان اليهودى وحفاظا عليه ، وأرفعهم  
ثقافة وأوفرهم غنى ، هذا وان البابلىين لم يتدخلوا فى شئونهم ، بل  
تركوهم وشأنهم ضمن المستعمرات التى أقاموها أو خصصوها لهم . لذلك  
توافرت لديهم جمىع المؤهلات للمحافظة على تراث مملكتهم ولاستمرار  
قيامهم بعاداتهم وشعائرهم . وطبىعى أنهم كانوا يرغبون فى ذلك .  
اذ يخفف من وطأة النفى والهزيمة التى لحقت بهم أن يظنوا أن منهاج  
حياتهم لم ينقطع ولم يتغير .

ومع هذا لم يحتمل العدىدون منهم وطأة النفى . فلم يمض عليهم  
زمن طويل حتى قضت العربة على شوقهم لوطنهم ، فانقطعت صلاتهم  
بالماضى ، وأخذوا يعملون فى مدن بابل وقراها كمواطنىها الاصلىين .  
وطالما أنهم كانوا يدفعون الضرائب المترتبة على أعمالهم التجارية  
والصناعية والزراعية لم تقف الحكومة أو الشعب فى طريقهم . فأخذوا  
يثبتون أنفسهم فى المحيط الجدىد ونجحوا نجاحا باهرا فى أعمالهم .  
ولا بد أنهم تناسوا عاداتهم وطقوسهم قليلا قليلا الى أن تم انصهار القسم  
الأعظم منهم فى الجسم البابلى .

---

( ٢ ) أرميا ٤٤ : ١ تشهد الآية ( اشعيا ١٩ : ١٨ ) وما يليها أن هؤلاء  
اللاجئىن لم يبقوا حتى الاحتلال الفارسى لمصر فى عهد قمبىز فحسب ،  
بل تمكنوا من السيطرة على المرافق الاقتصادية فى مدنهم ، وتزعموا  
حركات اليهود فى العالم المعروف كله فى عهد البطالسة .

لكن هناك عددا آخر من المنفيين. لم يرضوا عن بلادهم بديلا ولا لطقوسهم ودينهم تحويلا أو تغييرا . فهؤلاء لم ينسوا بل أخذوا يتوقدون شوقا لحياتهم الأولى ، ويتطلعون بأفئدتهم الى يوم عودتهم لاورشليم . وطبيعى أنهم نظروا الى دينهم وطقوسه كالمفرق الأول والآخر بينهم وبين المحيطين بهم . فلا غرابة اذن أنهم صبوا اهتمامهم عليه فاعادوا بلورته بشكل يتماشى مع واقعهم فى بابل ويضمن لهم البقاء .

ونشا بين المنفيين فى بابل زعيم روحى اسمه حزقيال ، جاءت آثاره فى الباب المسمى باسمه فى الكتاب المقدس ، وكان حزقيال قد أعد للكهنوت ، وسبى فى الدفعة الأولى سنة ٥٩٧ ق.م . وقام بدور الكاهن زهاء عشرين سنة . كان يطيب خاطر اليهود بتفسيره الاحداث كانها من صنع الاله يهوه ، ارادها لشعبه كى يصهرهم وينقيهم ثم يعيدهم الى صهيون بعد أن أصبحوا عبادا له خلصا . فكان يقول على لسان يهوه : « سأضع فيكم قلبا وروحا جديدين . . . . وأجعل فيكم شرائع تتبعونها » (٣) . وشرح حزقيال فى فصول عديدة الهيكل الجديد الذى سيعيد الاسرائيليون بناءه ، وفصل الطقوس القربانية التى ظن أن لا بد لهم من القيام بها عند العودة . وكانت هذه كلها تعليلا لآمال المنفيين الضائعة . ولعله فى هذا الوقت حدث تحريف التاريخ الاسرائيلى القديم وأعيدت كتابته . فالأسفار المعروفة باسم يشوع والقضاة وصمويل والملوك ، وكذلك أسفار الأنبياء أرميا وهوشع وعاموس واشعيا وميخا وناحوم وحبقوق أعيد نظمها وتنسيقها فى هذا العهد . فجاءت مليئة بنزعة العودة والتمسك الشديد بالطقوس القربانية ونظام الكهنوت ، وكذلك أضيف الى هذه الأسفار الكثير من العظات الرادعة لشعب اسرائيل عن انضهاره فى العالم ، وعن مواطاته لطقوسها الدينية وأخلاقها ، والحائثة له على التمسك بترائه كى لا يفتت ويضيع . ولا شك أن نظام القداسة الذى جاءت تفاصيله فى الاصحاحات ١٧ الى ٢٦ من اللاويين ، والذى صب

أهتمامه على التفريق بين الشعب المقدس وبقية الانسانية ، وضع فى هذا العهد أيضا (٤) .

وفى هذا العهد أيضا ، وتحت تأثير أوضاع النفى ، تأسست الكنيسة كنظام تعبدى وهى ما زالت الى يومنا هذا مؤسسة التعبـ اليهودى الوحيدة . ذلك أن انقطاع المنفيين عن الهيكل ، اضطرهم الى التجمع فى بناء ما للتعبد يوم السبت أو على الأقل ، طالما أنه لم يكن هناك تعبد بالمعنى الرسمى خارج هيكل أورشليم ، اضطرهم الى التجمع فى بناء ما للاستماع الى خطب وعظات شيوخهم ، الى كهنتهم يثلون عليهم ما نقلوه من كتبهم وأدبهم الدينى . وفى هذه التجمعات ، التى كانت عديدة اضطرارا لأن المنفيين لم يكونوا يستطيعون كلهم التجمع فى مكان واحد ، كانوا يجمعون التبرعات لاعانة المحتاجين ويوزعونها ، ويعلمون الشعب ما استطاعوا من طقوس ودروس . وعن هذه التجمعات نشأت الكنائس كمؤسسات دينية ، ثم استمرت الى ما بعد العودة وبناء الهيكل من جديد لأنها وجدت أنها تؤدى خدمة لا يغنى لليهود عنها ؛

وفى الحقيقة ، تغير المجتمع اليهودى تحت هذه الظروف فأصبح من الوجهة الدينية مجتمعا جديدا . كان فى السابق مجتمعا يقوم حول طقس دينى واحد . ألا وهو القربان فى الهيكل الواحد الذى كان لا بديل له . أما فى المنفى ، فقد أصبح مجتمعا يقوم على التمسك بالتراث والقانون . ولا غرو أن المنفى سبب هذا الحرص الجديد على القانون .

---

(٤) يقول جون برايت فى كتابه (S.C.M. Press, A History of

Israel لندن ، ١٩٦٠ ، صفحة ٣٣٠-٣٣١ : «ان جميع الكتابات التاريخية اللتثنوية ، من يوشع الى الملوك الثانى ، التى ربما كانت الفت قبيل سقوط الدولة ، أعيدت كتابتها وحرفت وزيد عليها - كما فى الملوك الثانى ٢٥ : ٢٧ - ٣٠ . وجعلت منسجمة مع الوضع الجديد فى المنفى . كذلك ، آثار الانبياء ، الآن وقد أثبتت الأحداث صحة تحاذيرها ، لم يحتفظ بها كتابة وشفاهة فحسب بل دونت من جديد وزيد فيها حواشى كثيرة جعلتها تنطبق على أوضاع المنفى . . . » . ويسرد المؤلف بعد ذلك الكثير من أسفار التوراة التى اعترأها هذا التحريف المغرض .

فبما أن الدولة اليهودى سقطت والهيكل هدم والطقوس القربانية لم تعد تقام ، لم يبق لليهود مميز عن بقية البشر ، واستحال عليهم تعريف هويتهم بشكل فحوى . اذ لم تعرف لهم هوية سوى الهوية الجغرافية المنطوية عنها كلمة « يهودى » أى « من بلد يهودا » . لذلك بادروا الى القانون ، وجعلوا هويتهم منوطة بتنفيذهم اياه بحذافيره . وايد هذا الاتجاه تأويل الانبياء والزعماء الحاليين والسابقين لذلك العهد بقليل ، من أن النكبة التى حلت بالدولة اليهودية سنة ٥٨٧ ق.م كان سببها عدم تمسك اليهود بشريعتهم . وعليه أخذ المنفيون يتسابقون فى تعليق اهتمامهم بحذافير الشريعة . فالسبت والختان . مثلا ، عرفهما اليهود من قبل واتبعوهما كجزء من الشريعة . الا أن هذين النظامين أصبحا فى المنفى وحدهما يعرفان اليهودى ويؤديان فحوى هويته كليا . اقرأ مثلا ما جاء فى أرميا ١٧ : ١٩ - ٢٧ وأشعيا ٥٦ : ١ - ٨ ، ٥٨ : ١٣ وما يليه ، فأنت واجد أن اقامة السبت هى الفاصل الواحد والأخير بين الانتماء الى الميثاق (٥) وعدمه . واقرأ ما جاء فى التكوين ٢ : ٢ وما يليها حيث الادعاء بأن السبت شعيرة « أقيمت عند خلق الكون » . ثم اقرأ فى الخروج ٣١ : ١٢ - ١٧ ، وحزقيال ٢٠ : ١٢ ، حيث الادعاء بأن اسرائيل هى اسرائيل بسبب اقامة السبت . وكذلك الختان ، فقد عرفه الكنعانيون والفينيقيون والموابيون والمصريون وغيرهم بجانب اسرائيل باستثناء الفلسطينيين والبابليين الا أنه أصبح فى المنفى (٦) علامة اليهودى المميزة وفحوى يهوديته . أضف الى ذلك حزقيال ٤ : ١٢ - ١٥ ، ٢٢ : ٢٦ ، ٤٤ ، وما يليه ، ونظام القداسة فى اللاويين فصول ١٧ الى ٢٦ لتجد أن مسألة الطهارة الطقسية وأساليبها وأحكامها أخذت أهمية كبرى فى المنفى لم تعهدها من قبل . وذلك لان المنفيين شاعوا بهذه الوسائل

---

(٥) الانتماء الى ميثاق ابراهيم فى نظر اليهود يعنى العضوية فى الشعب اليهودى . انظر كتاب « أصول الصهيونية فى الدين اليهودى » للمؤلف ، صفحة ١٩ وما يليها .  
(٦) حسب شهادة التكوين ١٧ : ١١ .

أن يعطوا أنفسهم ميزات حسية وفعلية تفوقهم عن غيرهم من البشر (٧) .  
تجب هنا الملاحظة أن عودة اليهود الى يهودا وإعادة بنائهم الهيكل  
فى اورشليم سنة ٥٢٠ - ٥١٥ ق.م. لم يغير هذا الاتجاه الدينى ،  
صحيح أنه لعهد قصير ، استطاع قسم ضئيل من اليهود ، وهم سكان  
اورشليم ، من تعريف أنفسهم على الطريقة القديمة ، أى كأعضاء مجتمع  
قومى طقسى . الا أن معظم اليهود - وأكثريتهم كانت تعيش خارج  
اورشليم بل خارج فلسطين - لم يكونوا يستطيعون الذهاب الى اورشليم  
للمساهمة فى طقوسها ولم يكونوا يرغبون فى ذلك . فقد حلا لهم التعبد  
فى الكنيس بدون طقوس قربانية . فضلا عن ذلك ، لقد دك المنفى  
وسقوط الدولة اليهودية الأساس اللاهوتى للشعائر القربانية . لذلك لم  
يكن بد من ايجاد عنصر آخر من التراث الاسرائيلى يلتف الشعب حوله  
ويتماسك به . وذلك بالذات كان ما فعله القانون .

ويمكننا أن نقول ان التمسك بالقانون هو المميز الكبير بين ما قبل  
المنفى وما بعده فى الدين اليهودى ، أما وجود القانون نفسه فلم يكن  
جديدا . عرفت اسرائيل القانون منذ بدايتها ، عندما كانت اتحادا قبليا  
قائما على القانون المترتب على الميثاق ، وعندما قامت المملكة ، لم  
يغير من هذا شئ . ذلك لأن القانون لم يكن قانونا وصفا من شأن  
الدولة ابرامه أو اسقاطه ، بل قانونا قدسيا تقوم الدولة على تنفيذه فقط .  
ولنذكر هنا أن الملك يوشع لم يكن يقدم القانون التثنوى كقانون وضعت  
دولته ، بل كقانون قدسى قديم تعلن دولته خضوعها له وتمسكها به .  
هذه المكانة الممتازة للقانون ، وتفوقه على الطقوس القربانية ،

---

(٧) من الأمور الباعثة للضحك ادعاءات رجال الدين الذين صبوا  
جل اهتمامهم على اعلاء شأن القانون ، ففضلا عما ذكره أعلاه ، قالوا ان  
السبت كان يقيمه الملائكة وان اختيار اسرائيل فوق كل الشعوب أعلن عندما  
خلق العالم ( التوبيليات ٢ : ١٥ - ٣٣ ) . وكذلك قالوا أن قانون اللاويين  
المتعلق بالتطهر طبق فى قضية حواء ( المصدر ذاته ٣ : ٨ - ١٤ ) .  
وان عيد الأسابيع السبع ( Shavu'ot ) أقامه نوح كما أقام ابراهيم عيد  
التوابيت ( المصدر ذاته ٦ : ١٧ وما يليها و ١٦ : ٢٠ - ٣١ ) .

نمت بمرور الزمن في المنفى ووصلت مرحلة التبلور في عهد عزرا . فالاصلاح العزراوى قام على القانون وضرورة التمسك به ، وكان بمثابة نهاية طريق وبتداية طريق آخر فى التاريخ الاسرائيلى . ان عبقرية عزرا كلها محصورة فى هذا التعريف الجديد الذى اعطاه لاسرائيل . فاسرائيل ، فى عرفه الجديد ، لم تعد دولة قومية ، ولم تعد مجموعة ابناء مواطنى الدولة الساقطة ، ولا مجموعة سكان اورشليم ، ويهودا ، بل حتى ولا مجموعة من يعترفون بيهوه ويعبدونه . اسرائيل هى من يعترف بالقانون ويتحمل عباؤه . بينما كان القانون فى السابق ينظم حياة القوم ، اصبح الان يجعل القوم قوما . وبينما كان نتيجة للميثاق الابراهيمنى ، اصبح الان فحوى الميثاق ومعنى الدين والتدين كله ، بينما كان القانون يدعم الدين ويعطيه بعده الاخلاقى ، اصبح الآن هو الدين وهو الاصل بالمستقبل ، واصبح اليهود لأول مرة كتابيين ، أى لهم دين هو القانون المرسوم فى كتاب . فبينما استخرج اجدادهم الكتاب المقدس . من حياتهم وواقعهم التاريخى ، اصبحوا الان يستخرجون حياتهم وواقعهم من كتاب القانون . هذا هو الطابع الذى انطبع به الدين اليهودى وبقي حتى العصر الحديث .

صحب هذا الرفع من مكانة القانون فى الدين اليهودى تدوين معظم أسفار الكتاب المقدس ، لا سيما الاسفار الخمسة الاولى المسماة بالـ (Pentateuch) واعتبارها كتابا مقدسا . ولهذه العملية تاريخ طويل للقارىء أن يراجع فيما نشر من أبحاث فى تاريخ نص الكتاب المقدس (٨)

#### (٨) أهمها الكتب الآتية :

H.F. Hahn, *The old Testament in Modern Research*.  
London : S.C.M. Press, 1956.

H.H. Rowley, ed., *The old Testament and Modern Study*.  
Oxford : The Clarendon Press 1951.

G.H. Wright and R.H. Fuller, *The Book of the Acts of God*.  
New York : Doubleday & Co., 1957.

الا أن النتيجة الملازمة لهذا الرفع كانت أن أصبح بعدها القانون مطلقا .  
فظالما أن القانون هو ارادة الله مجسمة فى أوامر وتعليمات ، فالقانون  
اذن مطلق وأبدى كاله نفسه . لا يجوز تغييره ولا تبديله . وكان من جراء  
هذا أن أقفل باب النبوة فى اسرائيل . اذ أن ارادة الله كلها هنا ، تقراً  
وتعلم برمتها فى هذا القانون . فما الحاجة اذن الى أنبياء آخرين ؟  
وما عساهم يأتون به من عند الله غير هذا الذى عندنا ؟ لذلك أصبح  
التطلع اليهودى لا الى نبي يأتى بالارادة الالهية كما من قبل بل الى  
زعماء أو شبه أنبياء، ينفذون القانون (٩) .

حتى الطقس القربانى الذى كان فى العهد السابق أصل الدين  
وركيزته الأولى أصبح الآن لا قيمة له الا لأنه مأمور به من قبل القانون .  
ولم يكن القانون يصف الطقس القربانى كما كان يؤدي بالفعل ، بل كما  
كان يجب أن يؤدي حسب تقدير واضعى القانون ، أى حزقيال وعزرا  
وغيرهم ، يترتب عن هذا أن الكاهن لم يعد له تلك المكانة المهمة التى  
تمتع بها فى السابق . فالسلالات الكهنوتية المتمسكة بسدانتها وكهنوتها  
منذ أيام الملك داوود فقدت مكانتها التى تلقفها معلمو القانون وكتبته ،  
وبما أن قراءة القانون كانت متاحة للجميع ، لم يبق للكهنه مهنة  
يحتكرونها . وبعد قليل ، اضمحلت المهنة الكهنوتية وانقرض الكهنه من  
الدين اليهودى .

الآن وقد تركز الدين اليهودى كله فى القانون ، أصبح تأويله  
وشرحه وتفصيله من الامور المهمة جدا . وبما أن القانون لم يكن وحدة .

==

Max L. Margolis, *The Hebrew Scriptures in the Making*.  
Philadelphia. Jewish Publication, Society, 1922.

M. Noth, *Ueberlieferungsgeschichte des Pentateuchs*.  
Stuttgart W. Kohlhammer, 1948.

G. Von Rad, *Das Formgeschichtliche Problem des Hexateuchs*.  
*Gesammelte Studien Zum Alten Testament*. Munich : C. Kaiser  
Verlag, 1958.

(٩) انظر المكابيون الأول ٤ : ٤٦ ، ١٤ : ٤١ ، ٩ : ٢٧ ، ٣ : ٤٨

متناسقة الاجزاء والفروع ، وواضحة التطبيق فى جميع الحالات والمسائل .  
ترتب على ذلك قيام حركة التفسير وتوريق الاحكام كى يتسنى تطبيقها  
على جميع مراحل الحياة . لذلك نشأت طبقة جديدة ، طبقة الكتبة ،  
يوقفون حياتهم على دراسة القانون وتحليله واستنباط الاحكام الفرعية.  
منه ( ١٠ ) وابتدأ فى هذا العهد تطبيق مبدأ تفسير القانون بالقانون.  
أو الكتاب المقدس بالكتاب المقدس كما تشهد الايات ٤ : ٣٠ ، ٣٣ : ١٥  
وما يليها ، ٥٠ : ٦ - ١٣ من سفر اليبوسيات فى أمر تفسير قانون.  
السبت ، والايات ٢ : ٢٩ - ٤١ من المكابيين الاول فى أمر ايقاف عمل  
قانون السبت فى حالات الطوارئ الملزمة للدفاع عن النفس .

تجب الملاحظة هنا أن اليهود المتدينين لم يكونوا ينظرون الى  
القانون كعبء ثقيل ، على عكس اليهود غير المتدينين ، الذين كانوا  
يتبرمون ويتأذون من تبعاته . لذلك تركزت دعاية رجال الدين على  
اقناع اليهود بأن طاعة القانون حلوة ومفرحة ومحبة . اقرأ مثلا الايات .  
١ - ٢ ، ١٩ : ٧ - ١٤ ، ١١٩ : ١٤ - ١٦ من سفر الزبور والايات .  
١ : ١١ وما يليها من سفر (Ecclesiasticus) وادعوا أن فى القانون حياة  
ونورا وهدى كما فى الآية ١١٩ : ١٠٥ من الزبور ، وأن من يتبعه لا بد  
أنه واجد أمنا وراحة وسعادة ، كما فى الزبور ١٤٧ : ١٩ وما يليها ،  
ومع أن القانون أشار فى أماكن عديدة الى النية الصافية وخشية الاله يهوه ،  
الا أنه مقطوع منه أن التقوى اليهودية لم تكن فى يوم من الايام تعنى  
تقوى ضميرية صحيحة ، بل انحصر معناها كليا فى طاعة القانون وتطبيق  
جميع حذافيره . فالدين كله ، فى عرف الزبور ١ ، ١٩ : ٧ - ١٤ ،  
١١٩ ، (Ecclesiasticus) ٢ : ١٦ ، ٣٩ : ١ - ١١ هو محبة القانون.  
وتطبيقه ( ١١ ) .

( ١٠ ) كان بن سيرا أحد هؤلاء الكتبة ، انظر : (Ecclesiasticus).

٣٨ : ٢٤ - ٣٤ ، ٥١ : ٢٣ ، بركى آبوت ١ : ١ .

( ١١ ) انظر أيضا الى تعريف يهوديت بأنها متدينة وذات قداسة .  
لانها تقيم الاعياد وتصوم وتقيم السبت وتطبق الاحكام المتعلقة بالأكل .  
( يهوديت ١١ : ١٧ ) .

بقيت لنا ملاحظتان عن تطور الدين اليهودى فى عصرى المنفى  
وما بعده .

الأولى : أن اليهود تبنا نظرية الملائكة والشياطين السائدة فى  
الدين الفارسى وذلك لأن تاريخهم ( أى هزيمتهم وتحطيم دولتهم  
وتشريدهم ) أدت بهم الى الاعتقاد بأن يهوه لم يعد دائم الوجود بينهم ،  
لم يعد يرافقهم فى شتى الأحوال والأوقات والديار . فنتج عن هذا الأقصاء  
للله ، أنه أصبح بعيدا ثم منزها عن الاتصال المباشر بشعبه المختار .  
فجاءت الملائكة تقوم بهذا الاتصال وتعمل كوسيط بين الاله وشعبه  
المحبب ( ١٢ ) .

أما الملاحظة الثانية : فهى نشأة الوعى الأخرى عند اليهود . فهم  
لم يكونوا حتى المنفى يعتقدون بأية آخرة ويرون أن الموت خاتمة كل  
شئ . أما وقد شاهدوا تحطيم مملكتهم وتقتيل رجالاتهم ، متقين كانوا  
أو أشرا ، على يد البابليين ثم اليونانيين ثم الرومانيين ثم الأنطاكيين ،  
أخذوا يتقبلون الفكرة الأخرى الفارسية . إذ لم يعد يعقل عندهم أن الاله  
لن ينصر شعبه المختار بعد سقوطه ، وعبادة الأتقياء بعد موتهم . ومن  
هنا بدأ الايمان بالبعث وبيوم الدين - أى يوم المحاكمة والانتصار  
للشعب المختار - ينمو حتى عم الجميع . ولم يتقبل الصدوقيون الفكرة  
الجديدة واعتبروها بدعة حتى عهد المسيح . وأود أن أشير هنا الى ما ذكرت  
فى هذا الصدد فى كتابى « أصول الصهيونية فى الدين اليهودى » مضيئا  
أن وعى اليهود الآخرون تبلور منذ عهد المنفى فى خطين عريضين :  
خط يرى الآخرة كعودة الى أورشليم الجغرافية واقامة الملكة الداوودية  
السياسية فيها على يد مخلص يلم شتات اليهود العنصرى ( وهذه هى  
الصهيونية ) ، وخط آخر يرى الآخرة كبعث شخص ومحاكمة شخصية

---

( ١٢ ) انظر فى هذا الصدد جميع أبحاث (George Widengren,

R.C. Zaehner) كذلك بحث تلميذ الأخير (H. Ringren) المسمى (Word  
and Wisdom) Lund : Hakan Ohlssons Book Tryckeri, 1947.

عن الأعمال فى الدنيا ثم الاحالة الى ملكوت الله . فالخطان اذن خط  
مادى عنصرى جغرافى شعبى ، وخط روحانى شخصى دينى بالمعنى الذى  
فهمه الابيونيون والاسينيون وأخذة السيد المسيح عنهم فيما بعد .

\*\*\*

## ٢ - نشأة التلمود واتمامه :

يتألف التلمود من مجلدات عديدة ضخمة ، مضت سنون طويلة ،  
حوالى ألف سنة ، فى تأليفها وجمعها وتنقيحها . تتحدث هذه المجلدات  
عن كل شىء : من أهم المبادئ الميتافيزيقية والدينية الكبرى الى أدق وأتفه  
مراسم الزراعة والطبخ والزينة . والتلمود يعكس لنا التفكير والواقع  
اليهودى عبر القرون العشرة التى نشأ وتم تأليفه فيها .

لا بد أن التراث الشفهى قديم ، وربما كان أقدم حتى من القانون  
الموسوى . وكان التحام التراثين الانسانى والالهى تاما طالما أن الاخير  
لم يكن مدونا فى كتاب . أما وقد دون فى عصر عزرا ، ابتداء الخطان  
ينفصلان عن بعضهما بعضا . فمنذ عزرا قدس اليهود توراتهم ودونوها ،  
وهكذا حافظوا عليها ، أما التراث الانسانى ، فقد استمر ينقل شفويا من  
جيل الى جيل . ومر بنا أن رفع القانون - أى التوراة - الى مكانة تساوى  
فيها بالدين كله ، ألزم الكتبة الى شرحه وتفصيله واستنباط الأحكام  
الفرعية منه . فعملية الشرح والتفسير والاستنباط اذا اتصلت بالتراث  
الشفهى والتحمت معه ، وتمنع الكتبة عن تدوين شروحهم حتى لا يختلط  
التراث الانسانى بالتراث الذى اعتقدوه الهيا . ونشأ بينهم أصحاب الذاكرة  
الخارقة الذين كانوا يحفظون أسفارا طويلة غيبا .

وأول من حفظ لنا التاريخ ذكرهم من رجال من هذا النوع ،  
شماى وهيلل ، اللذين عاشا قبل مولد المسيح بعشرين أو ثلاثين سنة ،  
وعرف عن الأول أنه كان شديد الحرص على حذافير القانون ، بينما  
أشتهر الثانى بليبرالية وروح سمحة . ولعلهما يمثلان النزعتين المادية  
والروحانية التى أشرت اليهما أعلاه . والمعروف أيضا هو أن تابعى

الأخير كانوا قلة تفوق عليهم أتباع شامى تفوقا كبيرا ، ولم يصلنا شيء مما حفظوه وقالوه الا بواسطة الأجيال اللاحقة .

وعندما حطم الرومان الهيكل والكيان اليهودى سنة ٧٠ للميلاد قام يوحنا بن زكاي أحد أتباع هيلل بتأسيس مدرسة فى بينا بعد أن هرب من أورشليم المهذومة . هناك ابتداء يوحنا يعلم تلاميذه ما حفظه من تراث ، ايماننا منه بأن اسرائيل لن تقوم الا بقانونها وتراثها الدينى . ويشهد لنا مدى تشاؤمه من قيام اسرائيل السياسية ما نسب اليه من قول بأن أعظم جندى لاسرائيل ليس المحارب بل التلميذ الذى يدرس ويكرس أكبر الجهد والوقت لحفظ القانون وتعليم تلامذة آخرين . وقد أضفى يوحنا على مجلسه فى بينا ، الذى أسماه « بيت الدين » ، مكانة الافئدة والحكم التى كان يتمتع بها مجلس السنحدرين فى أورشليم . اذ لم يعد هناك مجلس لهم بعد سقوط الدولة . واستمرت مدرسة بينا هذه تتمتع بمكناها مدة ستين عاما أنجزت خلالها جمع الكتاب المقدس . مضيئة اليه أنشودة الأناشيد وسفر (Ecc'esiases) ومقصية عنه سفر بن سيرا . كما أنها أقنعت اليهود بأن هذا النص هو النص الكامل للكتاب المقدس وأنه لا زيادة فيه ولا نقصان بعد اليوم .

وفى عهد الامبراطور هادريان ، برز بين دارسى القانون الريان عقيبا وكانت ميزته قوة ادراكه ، وسرعة استنباطه للأحكام من النصوص ، فتزعم مدرسة بينا وقام باركوخيا بثورته فى ذلك العهد ضد الحكم الرومانى فانضم عقيبا اليه وأخذ يطنطن له بأنه المخلص المنتظر « والنجم الخارج من يعقوب » . وباقتلاع الثورة ! سقط عقيبا بيد الرومان وأعدم تمزيقا على مرأى العموم . وعليه ، صب الرومان غضبهم على بينا ومدرستها ، بن وتعدوا ذلك الى الدين اليهودى نفسه . فحرموا الختان ، واقامة السبت والأعياد وأى طقس من الطقوس ، وكذلك أبرموا قانونا يعد بموجبه كل من درس القانون مجرما يستحق عقوبة الموت .

تبعثر على الأثر ما كان فى بينا من مخطوطات وآثار . واختبأ من استطاع النجاة من الربابنة وتلاميذهم فى قرية « آوشا » قرب مدينة

حيفا محتفظين بما استطاعوا تخليصه من آثار الى أن ألغى الامبراطور أنطونينوس بيوس سنة ١٣٨ الاضطهاد الذى أنزله سلفه باليهود . وعليه انتقلت العاصمة الدينية من بينا الى شمال فلسطين . وهناك تزعم الحركة الريان مايير وتمتع بمكانة جعلت ربابنة القرن الثالث يقولون : « عندما لا يذكر اسم العالم بالذات فى أى فصل من فصول المشنا ، يجب أن يفهم أو واضعها هو الريان مايير » . وأخيرا ، قام الريان يهودا ، من تلامذة الريان مايير ، زعيما لمدرسة القانون شمال فلسطين ، بين صدف وطبريا . وهناك ، تحت اشرافه حوالى سنة ٢٢٠ للميلاد ، جمعت آراء ومحفوظات مئة وثمانية وأربعين (Tannaim) أو معلمين فى ستة فصول سميت ونسقت كما يلى :

- (١) البذور ، وفيه قوانين الزراعة والصلاة وحقوق الفقراء .
- (٢) الأعياد ، وفيه قوانين السبت والأعياد وطقوسها .
- (٣) النساء ، وفيه قوانين الزواج والطلاق والنذور .
- (٤) الاضرار ، وفيه القوانين المدنية والاجرامية .
- (٥) المقدسات ، وفيه مراسيم القربان وطقوس الهيكل .
- (٦) التطهرات ، وفيه الطقوس اللاوية وقوانين الطهارة .

الا أن عملية التدوين الخطى لم تتم وبقية المشنا تنقل من جيل لجيل حفظا عن ظهر قلب حتى سنة ٣٩٠ للميلاد ، فقد تم تدوينها ومنذ ذلك الوقت وهى تعرف بالتلمود الفلسطينى .

ونشأ فى بابل ربانان ، صموئيل وأبو عريقا المعروف بسراب ، نزعا الزعامة الدينية لنفسيهما ، أو بالأحرى ، لبابل ، من فلسطين . وكان هذان الربانان أشد ذكاء ودهاء من معاصريهما فى فلسطين ، ومع أنهم ركزوا أعمالهم على المشنا الفلسطينية كأساس ، زادوا ونقحوا وغيروا الكثير ليجعلوها متجانسة مع روح العصر . وأفتى الريان صموئيل لأول مرة فى تاريخ التشرى اليهودى أن قوانين دولة المهجر قائمة وقاطعة فى كل ما يتعلق بحياة سكانها اليهود ما عدا الطقوس الدينية .

ومنذ أن وضعت المشنا ، والتعليقات والتفسيرات والاستنباطات منها وحولها وعليها تتضخم وتزداد مما أصبح يؤدي الى تشابك المواد مع بعضها بعضا بشكل يصعب حله . لذلك قام ربينا الثاني ، رئيس مدرسة سورا ببابل سنى ٤٧٤ - ٤٩٩ ، وذلك فى عهد يزدجرد الثانى ، بجمع وتصنيف وتدوين هذه التفسيرات الاضافية ، والتي يطلق عليها اسم جمارا (Gemera) ولم يفرغ من عملية التدوين هذه الا فى أوائل القرن السادس للميلاد . فالتلمود البابلى يتألف اذن من المشنا والجمارا ، أو التفسيرات المجموعة فى عهد رابيننا الثانى .

وتقسم مواد التلمود أيضا ، سواء، الفلستينى أو البابلى ، الى حلقا وهجادا ، ويعنى بالأولى المواد المنظمة للحياة اليهودية ، علمانية كانت أم دينية ، شخصية أم مجتمعية . ويعنى بالثانية المواد القصصية والتاريخية والأدبية التي جاءت مفسرة أو ممثلة أو مجسمة لأحكام الحلقا .

\* \* \*